قصص الحيوان في تراث الآداب الإسلامية العربية والفارسية والأردية

د. منى محمد مصطفى(*)

مقدمة

يوجد لدى كل الشعوب قصص وحكايات تهدف إلى التسلية والترويح عن النفس، والقصة، أو الحكاية من أكثر فنون الأدب جاذبية وقبولا في الأدب العالمي، وقد حظيت بمكانة عالية وتناقلتها الشعوب فيما بينها. وظهرت القصص والحكايات منذ خلق الإنسان على سطح الأرض، وستنتهي مع نهاية الخلق.

ومن المعروف أنه كان لدى حضارات العالم القديم (العراق، ومصر، والصين واليونان) ثروة ضخمة من القصص، وبداية القصص والحكايات وتطورها مرتبط بوجود الإنسان على الأرض؛ ولذلك ظهرت فى هذه القصص ملامح عهدها القديم.

وكل حضارة لها ملامح خاصة، وقد يوجد تشابه فى قصص العالم كله رغم تنوعها وتفردها.

ولقد ارتقت القصص والحكايات شأنها شأن فنون الأدب الأخرى، ويوجد فى آداب الهند، وإيران، واليونان، والروم أقاصيص وحكايات طَبَّقت شهرتها الآفاق، وقد لاقت بعض الأقاصيص قبولاً منقطع النظير، وأصبحت محور اهتمام آدابها، ولا تزال تحظى بقبول لدى الجميع.

ومن المتعارف عليه أن الأقاصيص والحكايات بدأت من الشرق؛ لأن حكامهم كانوا ظلمة، وكانت القصص على ألسنة الحيوانات هي وسيلتهم الوحيدة ليوصلوا بها استغاثاتهم لدى الملوك والحكام.

١ - فى الأدب العربى

يعد العرب من بين شعوب العالم القديم التي حَظيَت قصصهم بمكانة عالية فقد خبروا الحياة بحلوها ومرها، وتناولوا فى شعرهم، ونثرهم ما حصلوه من تجارب. ومن بين أنواع النثر عند العرب الحكايات والأقاصيص .

(*) مدرس بقسم اللغات الشرقية ـ كلية الآداب ـ جامعة المنصورة.

ففي العصر الجاهلي كان الناس يفرغون من أعمالهم ثم يجتمعون ليتبادلوا الطرف والألغاز ويروووا القصص وكان القصاصون يستمدون قصصهم تارة من الأساطير، والخرافات السائرة المتنقلة بين الأمم وتارة أخرى من الأخبار والأحاديث الخرافية، والتاريخية المأثورة عن العرب أنفسهم وعمن جاورهم .

ويروى أن النضر بن الحارث المكي كان كثيراً ما يعارض النبي (صلى الله عليه وسلم) بحكاية أقاصيص من أساطير بطولة الفرس إذا أراد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يعظ قومه ويستميلهم إلى الإسلام، وكان على النضر بن الحارث المكي أن يدفع ثمن ذلك بمقتله يوم بدر[١].

وقد أطلق العرب على القصص التي كانت تروى ليلاً أسمارًا وقال محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم :-

"أول من سمر بالليل الإسكندر وكان له قوم يضحكونه، ولا يريد بذلك اللذة وإنما يريد الحراسة، واستعمل لذلك بعده الملوك كتاب هزار أفسان؛ وهو يحتوي على ألف ليلة وعلى دون المائتي سمر "[٢].

وكان العرب في الجاهلية يتناولون في قصصهم موضوعات تتعلق بسير أسلافهم وشجاعتهم وبطولتهم وقصص العشق.

وقد استمرت هذه العادة في عصر النبوة، وما تلاه من العصور الإسلامية وذكر القرآن الكريم قصص الأمم السالفة في أكثر من موضع.

وقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست :

"كان عبيد بن شريه الجرهمي في زمان معاوية وأدرك النبي - عليه الصلاة والسلام - ولم يسمع منه شيئاً ووفد على معاوية بن أبي سفيان، فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب، والعجم وسبب تبلبل الألسنة وأمر افتراق الناس في البلاد وكان قد استحضره من صنعاء اليمن، فأجابه بما أمر فأمر معاوية أن يدون وينسب إلى عبيد بن شريه، وعاش (عبيد بن شريه) إلى أيام عبد الملك بن مروان، وله من الكتب كتاب الأمثال، وكتاب الملوك وأخبار الماضين"[٣].

(١) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ص ١٢٨ .

(٢) ابن النديم: الفهرست، المقالة الثامنة ، ص ٣٦١ .

(٣) ابن النديم: الفهرست، المقالة الثالثة ، ص ١٠٥ .

وذكر ياقوت الحموي أن عبيد الجرهمي كان من حكماء الجاهلية؛ وهو شخصية أقرب إلى الأساطير، ويعده الرواة من أقدم الإخباريين، ويزعمون أنه ألف لمعاوية كتابًا في تاريخ الملوك وأخبار الماضين "[١].

ويمكن تقسيم القصص التى كانت تروى فى العصر الجاهلي إلى قسمين:

حكايات القسم الأول يمكن أن نعتبرها من أصل عربي، أما حكايات القسم الثاني فقد اقتبسها العرب من أقوام آخرين، وصاغوها وفق مزاجهم وذوقهم .

وتستمد بعض حكايات القسم الأول من الأخبار والأحاديث الخرافية والتاريخية المأثورة عن العرب أنفسهم، وبعضها الآخر يتناول قصص المشاهير.

فمعروف أن العرب كانوا شجعان، ومحاربين حيث كانوا يقضون أغلب حياتهم فى أعمال الحرب، والغارات؛ لذلك يدور موضوع قصصهم بصفة عامة حول بيان أعمال الحرب والبطولة والشجاعة.

وقصص هذا النوع تتناول سير المشاهير من قبيل: عنترة، والزير سالم بن بلال البطال، والأميرة ذات الهمة، وسيف بن ذي يزن، وفيروز شاه .

ولا نجد في قصص المشاهير ذكرًا أو إشارة إلى الحيوانات، وقد يأتي بالصدفة ذكر أوصاف الجمل، أو الثعبان، أو ابن آوى، أو الغزال، أو الصقر، أو الحمام، وعاداتهم وخصالهم .

وفي القصص الحربية نجد ذكر الحصان أكثر من أي حيوان آخر، وقصة عنترة ليست قصة محارب فقط وبطل عربي، بل هو شخصية إنسان وفيٍّ مخلص غيور شريف، وزعيم قبيلة يدافع عنها ويحميها من مخاطر اعتداءات القبائل الأخرى عليها .

وفي العصر الجاهلي كان أغربة العرب أربعة، وهم: عنترة ، وخفاف بن ندبه ، وأبو عميرة بن الحباب، وسليك بن السلكة .

ففي قصة عنترة ذكر الحصان بصفة خاصة، وقد نظم عنترة أشعارًا في وصف حصانه[٢] .

كما نظم أشعارًا في وصف معشوقته عبلة، وشبهها بالغزال وغيره من الحيوانات.

---

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١١٢ .

(٢) الخطيب التبريزى: شرح ديوان عنترة ، ص ٥-٧ .

ويصف امرؤ القيس محبوبته عنيزة من شعرها حتى إخمص قدميها، فيشبهها في بعض الأحيان بالغزال، وفي أحيان أخرى بالناقة، وغيرها، ومعلقة طرفة بن العبد تشتمل على ١٠٥ أبيات من بينها ٣٥ بيتًا فى وصف الناقة، وقد شبه ناقة محبوبته بالقارب، وجاء فى وصف الناقة بتشبيهات نادرة(١).

وجاء ذكر الناقة مرارًا في الأحاديث النبوية الشريفة :

"روى مسلم وأبو داود عن النسائي عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: بينما النبي - صلى الله عليه وسلم - في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة قد لعنتها، فسمع ذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقال: خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة "(٢) .

قال عمران بن حصين: فكأني أراها تمشى في الناس ما يعرض لها أحد(٣).

وتسمي العرب الناقة سفينة الصحراء ، ولم يكن هذا الحيوان يستعمل فقط فى الركوب وحمل الأحمال، بل كان بالنسبة لهم كل شيء، فهم يأخذون منه طعامهم وملبسهم ومبعث فخرهم ومؤنهم، ومواس لهم؛ ولذلك نجد ذكره فى الشعر العربي أكثر من أي حيوان آخر وليس ذلك الأمر عجيبًا .

وقد ورد ذكر الجياد عدة مرات في القرآن والحديث، وأكثر الشعراء والأدباء في العصر الإسلامي من ذكر الجياد، وفي ذلك الشأن يقول عبد الملك الأصمعي:

ذهبتُ ذات مرة أنا وأبو عبيدة عند فضل بن ربيع، وسألني: كم كتابك في الخيل؟ فقلت مجلد واحد، وسأل أبا عبيدة عن كتابه فقال: خمسون مجلدًا، فقال له : قم إلى هذا الفرس وأمسك عضوًا منه وسمِّه، فقال : لست بيطارًا، وإنما هذا شيء أخذته عن العرب، فقال لي: قم يا أصمعي وافعل ذلك : فقمت، وأمسكت ناصيته، وجعلت أذكر

(١) ديوان طرفة ابن العبد، شرحه وقدم له: مهدى محمد ناصر الدين ، ص٢٠ ،٢٤ .

(٢) دعوها فإنها ملعونة .

معجم لعن : مَ بر ٨٠، ٨١، دَ جهاد٥٠ ، دَى استئذان٤٥، ص ٤، ٤٢٩، ٤٣١

- مسلم ج ١٦/ م ١٥، كتاب البر والصلة والآداب (باب النهي عن لعن الدواب وغيرها)، عن عمران بن حصين النص؛ أبو داوود ج ٣/ ٤١ ، كتاب الجهاد (باب النهي عن لعن البهيمة) عن عمران بلفظ: (ضعوا عنها فإنها ملعونة)؛ الدارامي، ص ٨٧٩، كتاب الاستئذان (باب النهي عن لعن الدواب) عن عمران بن حصين بلفظ: (ضعوا عنها فإنها ملعونة).

(٣) وقال عمران: كأني انظر إليها ناقة ورقاء. الموسوعة الحديثية، ج ٣/١٠٣ عن عمران بن حصين.

عضوًا عضوًا، وبلغت حافره ! فقال : خذه ! فأخذت الفرس قال : فكنت إذا أردت أن أغيظه ركبت ذلك الفرس وأتيته[١].

وكتب محمد حسين سليم فيما يتعلق بالفابلات (قصص الحيوان)[٢]:

بدأ حكي الأقاصيص والحكايات من الشرق؛ لأن حكامهم كانوا ظَلَمَة، وكان لدى رعاياهم طريقة واحدة يوصلون بها استغاثاتهم لدى الملك، وقد اشتهر لقمان الحكيم العربى وإيسوب اليوناني، وألَّف بيديا الهندي في ذلك الشأن كتاب "كليلة ودمنة" باللغة السنسكريتية قبل عشرين قرنًا من أجل الملك دبشليم، ووضعه على ألسنة الحيوانات والطيور، ثم ترجمه ابن المقفع إلى العربية عن الفارسية، وذكر المسعودي في كتابه "مروج الذهب" : "ألف سهل بن هارون الكاتب لأمير المؤمنين المأمون كتاباً ترجمة (ثعلة وعفرة) يعارض به كتاب "كليلة ودمنة" في أبوابه وأمثاله ويزيد عليه في حسن نظمه "[٣].

وكتاب "الصادح والباغم"، وكذالك كتاب "فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء" يتناولان ذلك الموضوع أيضًا .

ويرد ذكر الحيوانات في الحكايات والأمثال العربية، وقد أبدى شعراء وأدباء العراق، والأندلس، ومصر، وتركيا، والشام اهتمامًا خاصًا بذكر الحيوانات فى الشعر والنثر.

واستعمل أكثر العلماء قصص الحيوانات؛ من أجل التعليم والتعلُّم، وتقديم النصيحة والموعظة، ولا يمكن لأحد أن ينكر أن قراءة حياة الأنبياء والصحابة الكرام ومشايخ الدين مفيدة لكل مسلم، ولكن عندما تعرض أحوالهم في شكل قصص وحكايات؛ فهي تزيد من رغبة القراء فى مطالعتها، وفى الأدب نوع الحكاية محبب للقارئ؛ لأن فيها مواد تشبع فطرة الإنسان التى تميل إلى التجسس وتتبع الحوادث.

والأمر غير القابل للشك أن الله تعالى جعل القرآن الكريم يشتمل على القصص، ورغَّب فى ذلك الأمر، حيث يقول فى قرآنه الكريم :

" فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ "[٤].

وكتب فى الأدب العربى أدباء كبار مثل: ابن المقفع، والجاحظ، والأصمعى عن

(١) الموسوعة العالمية للشعر العربى ، من قصص الأصمعى ، ص٧٤ .

(٢) سليم محمد حسين : تلخيص أور تاريخ أدب عربى ، ص١٣٣ .

(٣) المسعودى: مروج الذهب ، ج ١ ، ص٨٠ .

(٤) سورة ا لأعراف: الآية ١٧٦ .

الحيوانات وقصصهم وكذلك أورد الكتاب المهتمون بموضوعات التاريخ والفلسفة ذكر الحيوانات في مواضع كثيرة، وألَّف عالم مصري مشهور يدعى شهاب الدين أحمد بن سلامة القليوبي (المتوفى ١٠٦٩ هـ) كتاب" النوادر"، وهذا الكتاب ظل لفترة طويلة يدرس في مدارس شبه القارة الهندية ضمن مقررات المناهج الدراسية، ومن قصص الحيوانات التي وردت فيه:

" حكي أنه اصطحب أسد ذئبًا وثعلبًا فخرجوا للصيد فاصطادوا حمارًا وظبيًا وأرنبًا فقال الأسد للذئب : اقسم بيننا، فقال: هذا أمر ظاهر، الحمار لك والأرنب للثعلب والظبي لي فضربه الأسد بكفه فلطم رأسه، ثم قال للثعلب: اقسم أنت بيننا ؟، فقال : الأمر واضح الحمار لغذاء الملك والأرنب لعشائه، والظبي لما بين ذلك، فقال الأسد: قاتلك الله، من علَّمك هذه القسمة، فقال: ما رأيت من تلك اللطمة، ثم ولّي هاربًا "[١].

وحُكِيَ أن الأسد مرض فعاده جميع الحيوانات إلا الثعلب فغضب عليه، فنمَّ عليه الذئب، ثم حضر الثعلب عند الأسد فقال له : ما سبب غيابك عنا ؟ فقال : كنت فى طلب ما يدوايك، فقال له : فماذا رأيت ؟ فقال له : جوزة فى ساق ذئب، فضرب الأسد مخلبه في ساق الذئب فانسل الثعلب، ثم مر الذئب على الثعلب ودمه يسيل، فقال له الثعلب: يا صاحب الخف الأحمر إذا جلست عند الملوك فانظر ما يخرج من رأسك "[٢].

ومن بين الرسائل الخمسين التي كتبها إخوان الصفا الرسالة رقم ٢٢ فى كيفية تكوين الحيوانات وأوصافها[٣]، وهي تشتمل على مناظرة بين بني الإنسان والحيوانات في صورة حكاية .

وكذلك يوجد في الأدب العربي عدة قصائد لأبي العلاء المعري فى ذكر الحيوانات، ويبدو الأسلوب التمثيلي في المناظرات بين الذئب والجدي ، والطائر والحمام، ومناجاة الحيوانات .

ويعتبر الأدب الفارسي من أقدم آداب العالم وأعظمها؛ ومع أن اللغة الفارسية وآدابها كانت موجودة قبل ظهور الإسلام بعدة قرون؛ لكنها حظيت بمكانة رفيعة عندما تمكن سعد بن أبي وقاص فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب فى سنة ١٦ هـ من هزيمة

(١) أحمد شهاب الدين بن سلامة القليوبي: النوادر ، ص ٦٠، ٦١ .

(٢) القليوبي: النوادر ، ص ٦١ .

(٣) إخوان الصفا: المقالة ٢٢ .

يزدجرد الثالث آخر الملوك الساسانيين في معركة القادسية، وجعل العلم الإسلامي يرفرف على المدائن عاصمة إيران، واعتنق الإيرانيون الإسلام وتغيرت لغتهم وطريقة كتابتهم وأسلوب معيشتهم وآدابهم "[١].

وفي عصر الدولتين: الأموية، والعباسية امتزجت الثقافتان: الإيرانية، والعربية ببعضهما عن طريق الدويلات شبه المستقلة الطاهرية، والصفارية، وبدأت تنتشر اللغة الفارسية وآدابها.

وبعد ذلك بدأ عصر السامانيين الذى يطلق عليه عصر إحياء اللغة الفارسية وآدابها، وفي تلك الفترة ظهر أول شاعر ينظم شعرًا بالفارسية في إيران وهو: الشاعر الرودكي السمرقندي المشهور.

ويعتبر الرودكي (٨٨٤ - ٩٤١م) أول شاعر رتب ديوانه باللغة الفارسية؛ ولذلك لقب بـ(آدم الشعراء) وأصيب في طفولته بالعمى، وكان حافظًا للقرآن الكريم، وألمَّ بكل العلوم الرائجة في عصره، وكان لديه اهتمام خاص بالموسيقى وحسن الصوت، وكان سريع البديهة، وحصل على مكانة عظيمة في بلاط نصر بن أحمد الساماني، وبناء على أمره نظم بالفارسية كتاب "كليلة ودمنة" وحصل على جائزة أربعين ألف درهم[٢] وهو في الأصل كتاب باللغة السنسكريتية القديمة، جلبه برزويه من بلاد الهند بناء على أوامر ملك الفرس كسرى أنوشيروان "[٣] وفي النصف الأول من القرن السادس نقله أبو المعالي نصر الله منشي من نسخة الترجمة العربية لابن المقفع - التي أهداها له أحد أصدقائه- إلى الفارسية، واشتهر باسم كليلة ودمنة بهرامشاهي[٤]، وفي القرن التاسع الهجري هذب ملا حسين على الكاشفي كليلة ودمنة لأبي المعالى نصر الله منشي، وزينها بالصناعات اللفظية، وأهداها للأمير شيخ أحمد أحد أمراء السلطان حسين ميرزا بايقرا، وكنيته سهيلي ، وسماها باسم أنوار سهيلي [٥]، ومنذ ترجمته تأثرت قصص الحيوانات في الأدب الفارسى بكليلة ودمنة، وفي ذلك يقول حميد يزداني:

يعتبر أسلوب كتابة القصة فى إيران قديمًا جدًا، وقد عثر على أسماء بعض الكتب التي نالت شهرة خاصة، ولا مجال هنا لذكرها، وترجمة كتاب كليلة ودمنة الذي أتمه أبو

(١) رضا زاده شفق: تاريخ أدبيات إيران، ص ٢٧ .
(٢) المصدر السابق، ص ٤٥ .
(٣) ابن المقفع: كليلة ودمنة، ص ٢٥ .
(٤) ترجمه كليله ودمنه، أبو المعالي نصر الله منشي، المقدمة.
(٥) عباس على عظيمي: شرح حال ابن المقفع، ص٣٠٤،٣١٢ .

المعالي نصر الله منشي تعتبر صورة طبق الأصل من التراجم العربية الموجودة فى إيران، ومن خلاله تُلقن دروسًا فى الأخلاق على ألسنة الحيوانات والطيور وكتبه المؤلف بشكل جذاب؛ وفضلاً عن الوقائع ظهر التأثير في القصص بسبب سلاسة اللغة وحلاوتها، وألف المليطوى كتاب "روضة العقول" على أسلوب كليلة ودمنة أي أنه: عبارة عن قصص تُحكى على ألسنة الوحوش والطيور "(١).

وكتب الجنيدى عن بداية كتابة الأقاصيص :

"يبدأ النثر فى كل لغة بكتابة الأسطورة، والأقاصيص والحكايات، وفي الأدب الفارسي أساطير لا حصر لها، ولكن هذه الأساطير إما أنها قصص على ألسنة الحيوانات مثل : "كليلة ودمنة"، أو "خمسة نظامي"، أو قصص لا يقبلها العقل بلا بداية ولا نهاية مثل: "إسكندر نامه،" و"رموز حمزة وحسين"(٢).

ولا يوافق الجنيدي على الرأي القائل إن قصص الحيوان أساس الأدب الذي يتناول موضوعات الحكمة، والموعظة - وخصوصًا- أن القصص المنظومة في الفارسية أو المثنويات لها مكانة عظيمة في الأدب العالمي، وقد تناول الشعراء والأدباء في الأدب الفارسي أسرار ورموز التصوف بشكل تمثيلي، وعلى رأس القائمة خواجه فريد الدين العطار المولود (٥١٣ هـ) والمتوفى ٦٢٧ هـ(٣).

وكان يعمل بالعطارة، والطب ويقال بشأن تركه الدنيا وميله إلى العزلة والتصوف:

كان العطار في دكان عطارته، فجاءه ذات يوم فقير، وقال له عدة مرات : اعطنى شيئًا لله ، فلم يأبه بالفقير، فقال الفقير : أيها السيد: كيف تموت ؟ فقال العطار: كما ستموت أنت، فقال الفقير : أيمكنك أن تموت مثلى ؟ فقال العطار : نعم فوضع الفقير قدحه تحت رأسه وقال : الله، وأسلم الروح، فتغير حال العطار، وتخلص من متجره توًا، وجاء إلى هذا الطريق"(٤) .

وفي سنة ٦٢٧ هـ جرحه أحد المغول، ولم يستطع أن يتحمل جراحه؛ فتوفي عن عمر ناهز ١١٤ سنة(٥) وقد ألَّف العطار ١١٤ كتابًا، أهمها: "تذكرة الأولياء"، و"إخوان

(١) خواجه حميد يزدانى: پس پرد گ ?ا، ص٥ .
(٢) محمد عظيم الحق جنيدى: مآثر عجم ، ص٣ .
(٣) سعيد أحمد: داستانين اور حيوانات، ص ٧٥ - ٧٦ .
(٤) فريد الدين العطار: منطق الطير، ص ٥ .
(٥) فريد الدين العطار: منطق الطير، ص ٧ .

الصفا"، و"أسرار نامه"، و"ألهى نامه"، و"مصيبت نامه"، و"اشتر نامه"، و"جوهر الذات" ، و"وصيت نامه"، و"منطق الطير"، "بلبل نامه"[١]، و"جل وهرمز"، و"سياه نامه" و"ديوان غزليات"، ورباعيات، وكتاب "تذكرة الأولياء في أحوال الصوفية الكرام".

وقد تناول العطار مسائل التصوف في كتابه "منطق الطير" بطريقة سهلة سلسلة . وكتب حكيم مطيع الرحمن:

منطق الطير من روائع الشيخ العطار، وقد تناول العطار في ذلك الكتاب موضوعات التصوف بشكل تمثيلي، والمراد من السيمرغ[٢] البحث عن الذات، والهدهد فيها بمنزلة الرسول الذي يؤدي واجب الهداية للطيور في وادي السلوك، والمراد من الطيور سالكي طريق السلوك، وعند تناوله المسائل الدقيقة في حكايات تمثيلية مختلفة يثير الحيرة والتأثير[٣].

ويحتل "منطق الطير" مكانة مرموقة في الأدب الفارسي، وقد حصل العطار على مكانة عظيمة، وحظي بشهرة كبيرة بفضل هذا الكتاب.

ويبدأ العطار المنظومة بمناجاة الله عز وجل، ثم ينتقل إلى مدح الرسول - عليه السلام - ثم مدح الخلفاء الراشدين الأربعة، ثم كلمة في ذم التعصب بين السنة والشيعة، ثم أحاديث الرسول وبعض الصحابة، وكذلك الحديث عن الشفاعة وأنها للرسول وحده، وإلى هنا تنتهي المقدمة، وبعدها يبدأ العطار في سرد القصة التي جعلها في مقالات وصل عددها إلى ٤٥ مقالة، وخاتمة .

أما عن المقالات فتبدأ المقالة الأولى بعقد اجتماع كبير للطير للتشاور فيما بينهم للبحث عن ملك لهم يهديهم، ويرشدهم، وهنا يتقدم الهدهد في المقالة الثانية ليحدثهم عن السيمرغ، ويدعوهم لسلوك الطريق حتى يبدأ عدد كبير منهم بتقديم الأعذار، وقد خصَّص العطار المقالات من الثالثة حتى الثالثة عشرة؛ لسرد هذه الأعذار، وضعف حجج ضعاف العزيمة منهم، ثم ينتهي الاجتماع على اتفاق الطيور على ضرورة سلوك الطريق بعد أن سألوا الهدهد عن رسومه وآدابه، ولكن ما أن تبدأ الطير فى السلوك، وتحيط بهم أخطار الطريق حتى يتقاعس البعض عن مواصلة الرحلة، وبدأ الكثيرون يسوقون الأعذار تلو الأعذار، كما هلك عدد كبير من الطيور إما لأنهم لم يحسنوا

(١) فريد الدين العطار: منطق الطير، ص ٢٠ .

(٢) السيمرغ طائر خرافي مثل العنقاء

(٣) مطيع الرحمن النقشبندي حكيم: حكايات فريد الدين عطار ، ص ٢٤ .

الاستعداد للطريق، وإما لأنهم كانوا غير صادقين فى سلوكهم، وشغل آخرون بمفاتن الطريق ومحاسنه. وهنا يتعرض العطار للحديث عن أودية[١] الطريق وهى: وادي الطلب، ووادي العشق، ووادي المعرفة، ووادي الاستغناء، ووادي التوحيد، ووادي الحيرة، ثم وادي الفقر، والغناء، وأخيرًا تصل الرحلة إلى نهايتها حيث وصل عدد قليل جدًا لا يتعدى الثلاثين طائرًا إلى الحضرة، وهنا تتبلور الفكرة الرئيسة للمنظومة، وهي فكرة وحدة الشهود بين السالك والحضرة الإلهية [٢].

وكتب غلام رسول مكران :

وضع العطار بكتابه "منطق الطير" حجر الأساس لكتابة القصة في الأدب الفارسي"[٣].

ويعتبر سنائى الغزنوي (المتوفى ١١٥٠م) أول من كتب قصة فارسية، ويتمثل ذلك في كتابه "حديقة الحديقة" يليه العطار؛ وهو حلقة الوصل بين سنائي ومولانا جلال الدين الرومي الذي أوصلها إلى قمة رقيها وازدهارها، وبدأ كتابه الشهير "المثنوي المعنوي" قائلاً ما معناه باللغة العربية :

مثنوي المولوي المعنوي: هو القرآن باللغة البهلوية، والرواد الثلاثة في الشعر الفارسي الصوفي هم : حكيم سنائي، ومولانا الرومي، والخواجه العطار، ومع أن المثنوي المعنوي أعلاهم شأنًا، لكن جلال الدين الرومي يعترف على الملأ، ويقول ما معناه بالعربية:

العطار هو الروح وسنائي عيناه، ونحن جئنا بعد سنائي والعطار، و ذاع صيت العطار في الدنيا كلها، ونحن في ركن من الحارة.

وكان مولانا جلال الدين الرومي (١٢٠٧ / ١٢٧٢م) مريد شمس تبريز، وبعد وفاة شمس تبريز اختار رفقة (صلاح الدين زركوب) وطبقت شهرة مثنوي مولانا الآفاق وأكمله مريده المقرب (حسن حسام الدين جلبي) في عشر سنوات .

وكتب عظيم الحق الجنيدي:

"تناول الرومي القضايا الصوفية والمسائل الحياتية بأسلوب جميل وشرح أدق المسائل عن طريق الحكايات، ونظرًا لقوة خيال مولانا جلال الدين الرومي يعتقد أنه

(١) يرمز بها العطار إلى المسالك عند الصوفية .

(٢) العطار : منطق الطير ، ص ٣٢، ٣٣ .

(٣) سعيد أحمد: داستانين اور حيوانات ، ص٧٨ .

جمع الحكايات من الحياة اليومية من أجل شرح المسائل الصوفية الأعلى من مستوى تفكير العامة ... ودروسه لها تأثير قوي على الذات، وقد أراد مولانا الرومي أن يبين أن الله هو الذي خلق الإنسان ، وشرَّفه من بين المخلوقات، واصطفاه خليفة له، وهو يعرف قوته ويجعله يشعر بها، وعندما يمنحه الجلوة يجعله يسخرها في خدمة الخلق، وفي العصر الحاضر حمل إقبال راية نظرية مولانا الرومي وأيدها "[١].

وقد تفرد كتاب المثنوى بنفاسة موضوعاته، فقد شرح مولانا الرومي فيه كل أنواع القضايا الإسلامية والأخلاقية، ولم يقترح على المرضى دواءً مستحيلاً، بل قدم وصفات سهلة بسيطة من أجل الإصلاح.

وقدم الرومي حكاية لشرح كل فكرة من أفكاره، ولا يمكن أن تحتل حكايات المثنوي مكانة أكثر من كونها مجرد حكاية تعرض بهدف تبسيط الفكرة ليسهل فهمها، ثم يستخلص منها النتائج التي هي روح المثنوي، ولا يوجد في الأدب الفارسي كتاب تصوف، ومواعظ أفضل من المثنوي، وقد نال القبول لقربه من الحياة اليومية، ومن قصص الحيوان التي وردت فيه قصة البقرة الحريصة:

"كان هناك بقرة وحيدة في جزيرة كبيرة ، وأنبت الله سبحانه وتعالى في تلك الجزيرة نباتات لتكون علفًا لها وبالليل تأكل تلك البقرة وتسمن، وعندما يحل الليل لا يأتيها النوم من الخوف، وتقول فى نفسها: ماذا آكل غدًا؟ حتى أنها أصبحت من التفكير نحيلة، وعندما تقوم فى الصباح، فترى كل الصحراء مملوءة بالخضرة، والعشب فتأكل وتسمن، وتقضى ليلها في الهم نفسه، وتمر سنوات على هذا النحو، ولكنها لا تثق في أن رزقها موجود؛ ولذلك على الإنسان أن يتذكر النعم التى حصل عليها، ولا يفكر فى المستقبل" [٢].

وقد حظي الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي بمكانة مرموقة في الشعر والنثر الفارسي، ولم يكن سعدي الشيرازي فقط رسول الغزل الفارسي، والشاعر صاحب المكانة العالية؛ بل كان معلم الأخلاق، وصوفيًا، وعالمًا متبحرًا، ومصلحًا وصديقًا مخلصًا وإنسانًا نقي السريرة، ولم يظهر في إيران معلم أخلاق أفضل منه، وقد ألقى الضوء فى "البوستان" و"الجلستان" على كل جوانب الحياة، وقدم النصائح من أجل الوصول إلى النجاح في الحياة .

(١) جنيدي: مآثر عجم ، ص ١٤٧ .

(٢) جلال الدين الرومي: مثنوي معنوي ، ج٥ ، ص ٧٨٩ .

ونجد في "الجلستان" كثيرًا من قصص الحيوان مفعمة بالحكمة والموعظة، ويقال إنه لا يوجد كتاب نثر فارسي أفضل من "الجلستان" وعباراته سهلة ممتعة، وهو خزانة العلم والحكمة، ولقد جمع سعدي فيه بين الجدية والمزاح، ويقول أفسوس[١] :

"مع أن الشيخ سعدي كان دائمًا يخالط أهل الأدب والبلاغة؛ إلا أنه كان لا مثيل له في ذكر اللطائف والألغاز".

ومن قصص الحيوان التي وردت فيه:

"جعلوا ببغاء مع غراب فى قفص فكان من قبح مشاهدته في مجاهدة، وكان يقول: ما هذه الطلعة المكروهة، والهيئة الممقوتة، والمنظر الملعون والشمائل غير الموزونة يا غراب البين يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين، فبئس القرين.

والأعجب من ذلك أن الغراب أيضًا كان قد ضاق بمجاورة الببغاء ومل، وكان يئن محوقلاً من تقلب الدنيا ويضرب كفًا بكف، ويقول : ما هذا البخت المنكوس، والطالع الدون ، والأيام المتلونة كالحرباء.

كان يليق بقدري أن أمشي متبخترًا مع غراب على حائط بستان .

عجبًا ما عساني قد جنيت فصيرتني الأيام مبتلى بقيد البلاء في سلك صحبة أبله كهذا مغرور لئيم مهذار.

إنني آتي بهذا المثل؛ لتعرف أن وحشة الجاهل من العالم بقدر نفرة العالم من الجاهل مائة مرة "[٢].

ويوجد في الأدب الفارسي القديم أسلوب بيان القصص على ألسنة الطيور والحيوانات، وفي الأدب الفارسي الجديد شغلت حيزًا كبيرًا فى الأصناف والأنواع الأدبية الجديدة، فمثلاً حل الشعر الحر محل المثنوي والغزل، واتخذ الشعراء الجدد من الحيوانات وسيلة للتعبير، وتفسير الأحوال الاجتماعية والسياسية.

وفي سنة ١٩٧٠م في فترة الحكم البهلوي فرضت القيود على جمعية الأدباء، وتوقف نشاطها، ولحقت أضرار كثيرة بالشعراء والأدباء، وأشرفوا على الموت، وبسبب الضغط السياسي بدأ يضعف الأدب الثوري، وكثرت الرموز في الشعر والأدب، ولعل أفضل صورة لبيان الحالة الفكرية والعاطفية قصة "البومة العمياء" لصادق هدايت.

---

(١) مير شير على أفسوس: باغ اردو ، ص ٢٥٥ .

(٢) سعدي الشيرازي: كلستان، ص ١٣٤، ١٣٥ ، ص ٢٢٠، ٢٢١

ويعتبر (سبط حسن) صادق هدايت من أدباء إيران الجدد، ويعتبر "البومة العمياء" أفضل رواية فى العصر الحاضر[١] وتبدأ الرواية :

" الجروح فى الدنيا حتى أنها تصيب الروح بالوحدة مثل الصدفية وليس ممكنًا التعبير عن ذلك الألم؛ لأن الناس يتحملون متاعب لا يمكن تحملها، وحتى الآن لا يعرف الإنسان دواء لذلك الألم.

وبعدما يتجرع الناس الغم يحاولون أن يفرجوا عن أنفسهم إما باستعمال الأفيون أو المخدرات الأخرى التى لا تزيدهم إلا ألمًا ولا تبرئ لهم سقمًا"[٢] .

ولصادق هدايت قصة تحت عنوان (الكلب الشريد)[٣] مؤثرة جدًا، وفحواها :

دست الكلاب الجائعة للحب السم لصديقهم الكلب (بات) وضربته، ويختم القصة بتلك السطور :

ووقت المساء تضرب الغربان الثلاثة على رأس (بات)، ويشمون رائحته من بعيد ، ويرتجفون وهم يرونه ينزل على الأرض. وعندما يتأكد لهم أن روحه لم تخرج بطريقة كاملة يخافون ويضربون على رأسه، ويخرجون عيونه السوداء التى تشبه عيون الإنسان إلى حد يثير الدهشة"

وقد ساد الجبر والاستبداد في العصر البهلوي؛ لذا اعتمد الشعراء والأدباء أحيانًا على التمثيل الفكاهي، وأحيانًا اختاروا أسلوب الرمز والكناية، ودعوا الناس إلى التفكير في أمورهم المعيشية.

وفي ذلك ذكر سبط حسن قصة جذابة لصادق شويك:

"وقف الملك (رضا شاه بهلوي) في مقصورة قصره، ونظر إلى الخارج من بعيد، وفجأة وقع نظره على تمثاله الذي نصب في ميدان المدينة، والتفت مئات من الغربان حوله، وغطوا وجهه، وعبثوا بتاجه فاستشاط غضبًا وأمر بقتل كل غربان المدينة أو القبض عليهم، وعندما وصل خبر ما أمر به الملك للغربان ارتدوا السواد وفروا من المملكة [٤].

(١) صادق هدايت: بوف كور، ص٣ .
(٢) سبط حسن: انقلاب ،ص ٥٩ .
(٣) صادق هدايت: سگ ولگرد.
(٤) سبط حسن: انقلاب، ص٦٠ .

أدب الهند

كتب العالم الهندي الجليل الدكتور كيان جاند:

"تُرى حكايات الحيوان بوضوح في حضارة مصر؛ لأن المصريين القدامى كان لديهم شعور داخلى يمنعهم من إيذاء الحيوانات، وكانوا يعبدونها أيضًا، وانتقلت هذه الحكايات من مصر إلى غرب آسيا وبابل، وقد اشتهرت تلك الحكايات باسم "إيسوب". وتعرف حكايات إيسوب في الأردية بحكايات لقمان، وهذه الحكايات انتقلت من المناطق المختلفة إلى الهند واليونان"(١) .

وذكر الدكتور كيان جاند فى موضع آخر:

" هناك فرق بين الحكايات اليونانية والهندية ففي الحكايات اليونانية يؤدي شخصية الحيوان حيوان بينما في الحكايات الهندية يؤدي الإنسان دور الحيوان؛ لأنه في عقيدة الهندوس يدخل الإنسان في بعض الأوقات في جسد الحيوانات؛ ولذلك كانت تتصف الحيوانات في قصصهم بالفهم والحكمة، والبطل في كل الأوقات يسلك سلوكًا حسنًا مع الحيوان وبشكل خاص تكون الببغاء صاحبة الضمير الحي مرشدًا لكل أنواع الحيوانات، وغربان حكايات إيسوب وابن آوى حيوانات عادية وفى بنج تنترا أي: كليلة ودمنة، الأسد ملك قوي له البلاط والنفوذ كالمعتاد، والنسر الأمير الملم بالسياسة، ويرشد الحيوانات بطريقة هندية خالصة "(٢).

وذكر الدكتور كيان جاند أيضًا:

"أسلوب قصص الحيوان في الهند قديم، وأبنشد (٨٠٠ ق.م) هي حكاية ملخصها أنه اجتمع الكلاب واختاروا قائدًا يلتفون تحت قيادته، وثاروا من أجل طلب الطعام، واعتبر كيان شاند أن (جاتكا) أي (كتاب بوذا) أكبر مخزن لقصص الحيوان في تاريخ الأدب بعد المهابهاراتا. ويوجد في (جاتك) قصص بنج تنترا الأساسية، وبعد اختفاء بنج تنترا تفرقت قصص الحيوانات في قصص (برهت كتها منجرى) و(كتها سرت ساجر) التي عثر عليها في كشمير، وترجع إلى سنة ٢٠٠ ق.م و(هتوبديش) التي دونت في القرن العاشر الميلادي، وتوجد في المهابهاراتا وحكايات إيسوب، وبنج تنترا حكايات كثيرة مشتركة، ويعتبر كتاب بنج تنترا المعروف بكليلة ودمنه من بين كتب الأساطير التي حظيت بقبول الجميع، وطبقت شهرتها الآفاق"(٣) .

---

(١) سعيد أحمد: داستانين اور حيوانات، ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) سعيد أحمد: داستانين اور حيوانات ، ص٩٠ ، ٩١ .

(٣) سعيد أحمد: داستانين اور حيوانات ، ص٩٠ ، ٩١ .

وكتب (أحمد عقيل روبي) في بداية مسرحية (جنكل كتها) مصرع بيت شعر لشاعر مجهول في زمان بنج تنترا، ومعناه بالعربية: لو لم تكن قصص الطيور والحيوانات لَمَا خرج أي كلم صادق من فم أحد، وذلك المصرع الذي كتبه أحمد عقيل روبي في بداية مسرحيته يعتبر مفتاحًا لفهمها(١).

ويرى العالم الألماني هرتل أن استعمال قصص الحيوان لتعليم السياسات هو أسلوب الهند؛ لذلك يتعين القول إن الهند مصدر الحكايات السياسية (٢).

وفضلاً عن بنج تنترا والمهابهاراتا تعتبر الأساطير مخزنًا مملوءًا بقصص الحيوان ، ويرى العالم (كوبى جند نارنك) أن حكايات الشياطين، وقصص (سورماؤن) هي أقدم مجموعات أساطير الهند القديمة، وتعتبر أساطير الهند القديمة خير وسيلة للتعبير عن المزاج الهندي، وطريقة تفكيره، وتلخيصًا للعقائد والنظريات الدينية (٣).

"وورد في الأساطير القديمة أن الإله فشنو يظهر في الدنيا في مختلف الأوقات والعصور في شكل الحيوانات، أو الإنسان، ويطلقون على ذلك تجسدات الإله، ومن المعروف أنه ظهر في عشرة تجسدات، وذلك طبقًا لعلم الأصنام الهندوسي الذي يؤمن أن الإله يحل ويتجسد في هيئة أرضية تكون إنسانية، أو حيوانية"(٤).

(١) روبى أحمد عقيل: جنكل كتها ، ص ١٥

(٢) سعيد أحمد: داستانين اور حيوانات، ص ٩١

(٣) كوبى چند نارنگ: پرانو كى كهانيان ، ص ١٣ .

(٤) عثمان الخشت: مقارنة الأديان الفيدية والبراهمانية والهندوسية، ص ١٧٦ .

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر والمراجع العربية:

١- ابن النديم ، الفهرست ، تحقيق: رضا تجدد بن زين العابدين المازندراني، بيروت، ١٩٨٨م .

٢- إخوان الصفا، تحقيق: بطرس البستاني، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨م.

٣- محمد عثمان الخشت (د) ، مقارنة الأديان الفيدية والبراهمانية والهندوسية، ١٩٩٦ م.

٤- المسعودى، مروج الذهب، تحقيق: محمد محي الدين بن عبد الحميد، ج ١، بيروت، ١٩٨٧م.

٥- الخطيب التبريزى، شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزى، قدم ووضع هوامشه وفهارسه، مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب العربى، د ت .

٦- ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج ١ ، بيروت ، ١٩٧٧م

٧- الموسوعة العالمية للشعر العربي، من قصص الأصمعي، شبكة المعلومات الدولية COPY RIGht@2005.ADAB

ثانيًا - المصادر والمراجع الأردية:

١- أفسوس ، شير على ، مير : باغ اردو ، مجلس ترقى ادب ، لاهور ، ١٩٦٣م.

٢- حميد يزدانى، پس پرد گ ?ا، لاهور، سنگ ميل پبلى كيشنز ، ١٩٩٢م .

٣- روبى أحمد عقيل، جنكل كتها ، الرزاق بيلى كيشنز ، لاهور ، ١٩٩٨م .

٤- سبط حسن ، انقلاب ، كراتشى، مكتبة دانيال، ١٩٨٨م .

٥- سعيد احمد، داستانين اور حيوانات، باكستان، مقتدره قومى زبان، ٢٠١٢ هـ

٦- كوبى چند نارنگ ، پرانو كى كهانيان ، فكشن هاوس ، لاهور ، ٢٠٠١م .

٧- محمد عظيم الحق جنيدي، مآثر عجم ، لاهور، مكتبة مانوس ، ١٩٩٤م

٨- مطيع الرحمن النقشبندي حكيم ، حكايات فريد الدين عطار ، ضيا القرآن ، بيلي كيشنز ، لاهور، ٢٠٠١م .

ثالثًا - المصادر الفارسية:

١- ابن المقفع، كليله ودمنه، ترجمة: أبو المعالي نصر الله منشي، تحقيق: مجتبي مينوي طهراني، تهران، ١٩٦٣م.

٢- جلال الدين الرومي، المثنوي المعنوي، ج٥ ، تهران، ١٩٩٥ م

٣- رضا زاده شفق، تاريخ أدبيات إيران، طهران، ١٩٤١م

٤- صادق هدايت، بوف كور، تهران، ١٩٧٢م، متن كامل، باهتمام: حسين خنجى، نشر الكترونيك وبكاه ايران www iran tarikh

٥ - صادق هدايت، سگ ولكرد، انتشار نسخة الكترونيك، سايت سخن skhon.com

رابعًا - المصادر االمترجمة عن الفارسية:

-كلستان، ترجمة: د. أمين عبد المجيد بدوي، قصر النيل، مصر، ١٩٨٣م